الدورة الحادية والعشرون
لمؤتمر مجمع الفقه الإسلامي الدولي
1435هـ 2013م

الحوار مع الآخر
حقيقته ومنهجه وثمراته

إعداد
الأستاذ الدكتور محمد بن أحمد بن صالح الصالح
أستاذ الدراسات العليا في جامعات المملكة ومعاهدها العليا
وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف
والخبير في المجامع الفقهية في المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحوار لغة:

من حار يحور أي عاد يعودوا والله تحدث عن ذلك في صفة الضالين في قوله(وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعوا ثبورا ويصلى سعيرا إنه كان في أهله مسرورا إنه ظن إن لن يحور بلى إن ربه كان به بصيراً) سورة الانشقاق 10-15، أن لن يحور أي لن يعود.

والحوار عملية عودة فيما يجري من النقاش ومن هنا صارت المناقشة التي تكون بين شخصين أو أشخاص حواراً؛ لأن كل واحد منهم يعيد الكلام مرات عديدة، وإمكانية الأخذ والرد في الحديث مرة بعد مره، فإذا لم يكن كل طرف حر في أن يتكلم وأن يرد وأن يعترض فإنه لا معنى لان يسمى الحوار حواراً، فلا يكون الحوار حواراً إلا إذا كان مناقشة مفتوحة وحقيقية بين طرفين أو عدة إطراف كل واحد منهم يملك الفرصة الزمنية نفسها و الحق نفسه و القدرة نفسها، مع استعمال الأدلة والبراهين.

الحوار إذن إدارة النقاش من أجل الوصول إلى توافق أو تفاهم أو تعاون أو تنسيق في قضية من القضايا.

وقد جاء لفظ الحوار في القرآن الكريم ثلاث مرات مرتان في سورة الكهف قال تعالى:(وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً واعز نفراً) 34، و(قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفه ثم سواك رجلا) 37، ومرة في سورة المجادلة(قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير)1.

شروط الحوار:

1) الشرط الأول الصدق: أي الرغبة المتبادلة في الوصول للتفاهم، فما لم يكن الحوار مبني على رغبه في المعرفة والتوصل إلى تفاهم والى حقيقة والى توافق فإن هذا الحوار يصبح تعجيزاً يصبح استفزازاً يصبح استدراجاً يصبح أي شيئا آخر لا أنه سعي للحوار للتفاهم في قضية من القضايا.
2) توحيد الأرضية المشتركة التي جاءت تسميتها في القرآن كلمة سواء(قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) آل عمران 64، فما لم تكن هناك أرضية مشتركه يصبح حواراً غير مفهوم، فالرغبة للوصول إلى المعرفة والتفاهم، والدليل على هذا أنه عندما يقع في الحوار ما يفتقد معه شرط الصدق تحول المعنى إلى نقيضه.

3) أن يستعمل كل من أطراف الحوار أدوات الاستدلال نفسها، وأن يكون الحق نفسه عند الأخر ، ولهذا قال المتحاورون في علم المناظرة الذي هو تراث إسلامي رفيع تتميز به ثقافتنا وحضارتنا وتراثنا نحن الأمة التي أسست علم قائم للحوار اسمه المناظرة ، وعندنا مناظرات تتسع إلى مجلدات كمناظره أبي سعيد الصيرافي ، وأبي الوليد الباجي مع ابن حزم الأندلسي فيقول له: ولا أدعيت في نفسك دعوى إلا سمحت لي بمثلها ولا استندت إلى دليل إلا أذنت أن استعمل مثله.

هذه شروط أساسية شرط الصدق وشرط التفاهم وشرط التكافؤ بغير هذا لا يكون الحوار حواراً وإنما يكون استفزازاً أو تحريضاً أو استدراجاً.

إن استعمال الحوار بمعنى المشاكله أو المعاكسة أو المباينه لبيان أنه ليس حواراً لأنه يفتقد الشروط الصحيحة للحوار.

أما حوار التدافع بالإرادة فهو سعي لفرض إرادة على إرادة ، والمقصود أن الإنسان يتواضع ويتنازل وينطلق في التعاون وبذل الجهد للوصول إلى منتصف الطريق لمعرفة الحقيقة إذا كانت عندك اسلم بها وإذا كانت عندي تسلم بها، وإذا لم تكن عند كلينا نسلم بها لطرف ثالث إذا كانت منقسمة بيننا نتقاسمها لهذا يقول الله جلا وعلا لنبيه عليه السلام قل لهم يا محمد:(وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ظلال مبين)سبا 24 فهو احتمال واحد والخطاب لاهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن المبطلين.

والحوار مع عدم التفاهم ليس حوار لأنه خالي من مقومات المنهج السليم للحوار وإذن فلا يستقيم الحوار إلا أن نقول (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)سورة النمل 64 وقوله تعالى(ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) آل عمران66

لن تجد في القرآن إلا طلب الحجة والدليل، فالمفروض أن الإنسان يتجنب حوار التدافع لأنه يستعمل القوة، و يتجنب حوار القوة لان منطلق القوة يبدأ عندما ينتهي مبدأ الإقناع.

والله سبحانه وهو لا يسأل عما يفعل لما أردا أن يخلق ادم اخبر الملائكة (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) وأذن لهم بالاعتراض فقالوا(أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) فلم يمنعهم بل قال(قال إني أعلم ما لا تعلمون وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين)البقرة 30-34 فعندما أمر الملائكة بالسجود سجدوا وذلك عندما رأوا ادم يعلم مالا يعلمون ، وهذا أسلوب إقناع من الله للملائكة حتى يعملوا على تيسير شأن البشر في الأرض، وهو الذي لا يسأل عما

يفعل وهم بالمقابل (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) وهذا نص في الشورى ونص في التشاور من أجل إن نتعلم كيف أن المسئول لابد أن يقنع شركائه في الإدارة أو الشركة أو الوزارة إقناع كامل بالقرار حتى يشاركوا معه في تنفيذه وهم مقتنعون به ومتقبلون له ومدركون مراميه وأهدافه.

شروط المحاور:

1) الكفاءة: المتمثلة في التخصص والقدرة على المناورة، والخبرة، والملاينة، والذكاء وأن يعرف متى يحجم ومتى يقدم، خذ مثلاً الكفاءة أحيانا تتفاوض دولة من الدول المتخلفة مع دولة متقدمة في شأن قانون تبادل تجاري لا يغلبنا الأقوياء فقط بمنطق الضغط الذي يملكونه ومنطق الاحتواء وإنما نحن أحيانا نسيء الاختيار بالاعتماد على الثقة وهم يختارون الكفاءة، فنحن نرسل من يرضى عنه المسئول ويثق به ويكون قريبا له أو صديقاً، وهم يرسلون الكفء فإذا بدأ النقاش الطرف الغربي يكون مستوعب، عالم متخصص داهية متمرس، والطرف الأخر غر ربما يكون بعيدا عن التخصص، وربما يرسل في آخر لحظة ارتجالاً فيؤخذ على غره فيوقع على هلكت أمته في جوانب اقتصادية وتجارية ثم نقول لماذا نحن فاشلون؟ لأننا لا نرسل الكفء لو نرسل الكفء المتخصص في ميدانه، نرسل الدبلوماسي للحوار الدبلوماسي، ونرسل البارع في اللغة لإبراز مزايا لغتنا ، ونرسل السياسي للحوار السياسي، ونرسل الاقتصادي للحوار التجاري، وهكذا يمكن أن نصل مع ضعفنا.

2) الدهاء : فالحوار يحتاج إلى مناورة ومداوره وملاينة أحيانا، يحتاج إلى حنكة، يحتاج إلى متى تحجم ومتى تقدم ، يحتاج إلى شعره معاوية حيث قال: لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت إذا جذبوها أرخيتها وإذا أرخوها جذبتها، لأنك إذا قطعت الحوار فشلت وإذا استسلمت في الحوار فأنت أكثر فشلاً ، وإذن فلابد من مرونة كافيه .

3) الشورى ألا يفوض الطرف المحاور في السياسة أو الاقتصاد أو حتى في حوار الأديان أو الحوار الإسلامي المسيحي أو حوار الحضارات لا يفاوض لكي يوقع نيابة عنا، لابد أن يعود ويستشير لابد أن يكون وراءه فريق من المستشارين.

أساليب الحوار:

يقول الله جلا وعلا: (فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة)البلد 11-14، ويقول أيضا(يا أيها الإنسان انك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه)الانشقاق 6، نحن مطالبون أن نغطي كل مجالات التحدي ومجالات التدافع وبذل الجهد في الإقناع، و كل مجالات العمل الحضاري الضروري الحيوي لا يغني بعضها عن بعض، اقتصاديون عليهم أن يستمروا في الحوار الاقتصادي من أجل تحسين شروط التبادل التجاري ، صناعيون ينبغي أن يبذلوا جهدهم من أجل الوصول إلى أفضل

الشروط في مجال الاستثمار والتصنيع والتوصل إلى أحدث أساليب التكنولوجيا، السياسي عليه أن يفاوض من اجل تحسين وضعية المسلمين السياسية من أجل إنهاء كل القضايا المعلقة العربية والإسلامية.

ويتعين أن نكشف كيد الأعداء ، ونعمل على أزاله الصورة البشعة التي رسمها المستشرقون عن العرب وعن المسلمين على مدى مئات السنين، ورسخها عبر الكتاب والبحث والمقال، بل حتى عبر اللوحة الفنية التي كان يرسمها الفنان المستشرق عن عالم الشرق وانشغالهم باللهو وبالنساء وبالمجون والخلاعة وأساليب الفجور التي تلصق بالعرب والمسلمين زوراً وبهتاناً،وإن كان البعض قد يمارس شيئا من هذه الأساليب الوضيعة فلا يجوز الحكم على الجميع، وإبراز صورة فيها العربي بليد وغبي وقاسي ومتوحش ودني ودموي ، فنحن أصحاب حضارة، وماضي عتيد، وحاضر زاهي، ومستقبل مشرق، علينا أن نبادر بالحوار الحقيقي فنكشف ادعائهم، ونقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، ونرد كيد المستشرقين بإبراز الأوجه المشرقة لديننا، مع العمل الجاد لدعوة الضالين والضرب على يد العابثين من بني جلدتنا حتى يثوبوا إلى رشدهم وينزعوا إلى التوبة، ويعدلوا عن كل السيئات والخطايا، فلا يجوز أن نبقى تحت رحمه المبادرة الغربية التي تضع الحوار وأطره وترسم أهدافه وغاياته ثم لا يكون لنا وجود في التأثير ورسم الخطط، وإبراز طاقاتنا وقدراتنا.

وليعلم أن الإعلام الغربي يتصيد البسطاء والأميين والجهال الذين لا يحسنون التعامل معهم ولا يدرك خبث نواياهم ، ولهذا ندعو الجمعيات الإسلامية أن لا تتحدث للإعلام مباشرة عليهم أن يختاروا ناطقا يتحدث باسمهم يكون أكثرهم ذكاءً، وأبرزهم عبقرية، وأقدمهم إقامة، وأقدرهم اتقاناً للغة القوم، وعندما يناقش يستطيع أن يوصل الفكرة ويستطيع أن يتجنب المكائد التي يحسن الإعلام الغربي نصب شراكها للإسلام والمسلمين.

وعلينا أن ننسق جهودنا، ونوحد طاقاتنا ونمثل في حوارنا كتلة واحده، تجمع الخبرات ويساند بعضنا بعض، ونتكاتف لنحقق أهدافنا ونبلغ غاياتنا؛ لان الغرب اتجه إلى توحيد الصف وجمع الكلمة في إزالة الحدود والسدود فيما بينهم بتوحيد الاقتصاد بالسوق الأوربية المشتركة،مع توحيد العملة وجواز السفر، وحق الإقامة لكل مواطن فيهم مع التمتع بكل مميزات المواطنة، والآن يبحث الأوربيون في كيان دستوري موحد، على أن لبلادنا المملكة العربية السعودية بصفتها دولة تمثل العالم الإسلامي، فهي قبلتهم في صلاتهم وعلى ربوعها يؤدون مناسكهم، وهي مهوئ افئدتهم واليها تشرئب أعناقهم، وترنوا إليها ابصارهم، وهي محط امالهم، ومن حقها أن تدافع عن قضاياهم،و أن تحاور وتفاوض في القضايا الخاصة بها فيما يتعلق بأمنها واقتصادها المتمثل في النفط، وفي أمورها المتعددة ومصالحها المتنوعة، إلا أن هناك قضايا كبرى لابد أن تلتقي حولها الدول العربية والإسلامية للدفاع والذود عن حياض الإسلام عندما يجترئ البعض بالإساءة إلى الذات العلية والى القرآن الكريم، أو الإساءة لنبي الإسلام محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ونشير هنا للدور البارز والمميز لخادم الحرمين الشريفين في انشاء مراكز الحوار في مكة وفي مدريد، والدور البارز والمتميز لتركيا

حكومة وشعبا في عنايتها بقضايا المسلمين، وأيضا فيما يتصل في حوار الحضارات، وحوار أتباع الأديان؛ لان مصالحنا مشتركه في زمن التكتلات في زمن العولمة في زمن ليس فيه للصغار والضعاف مكان، في زمن يتعين أن نكون كتله بحجم الدول الكبرى كالهند والصين والاتحاد الأوربي.

ولقد كان من الضرورة بمكان أن نعتمد على المسلمين المقيمين في بلاد الغرب الذين لم يعد وضعهم يوصف بالجاليات بل أصبحوا مواطنين يمثلون أجيال سبقتهم ففي المملكة المتحدة الجيل الثالث والرابع وكذا في فرنسا وفي ألمانيا وفي كندا وأمريكا، ففي ألمانيا على سبيل المثال ما يزيد على أربعة ملايين مسلم وكان عليهم أن يتخذوا من القرآن قبساً يستضيئون به ونوراً يهتدون به ويطبقون(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا وَأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)الإسراء: 9-10، وقوله تعالى(فلذالك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل أمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير)الشورى 15، ويتخذون منهجاً قويماً يلتزمون به فيما بينهم ويتعاملون به مع غيرهم قال تعالى:(والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون وجزاءا سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب اليم ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور) الشورى37- 43، وبإمكان هؤلاء المسلمين أن يحققوا على الأقل أمور أربع:

الأول:حمل الدول الغربية على الاعتراف بالإسلام بصفته ديناً عالمياً.

الثاني: إدخال علوم الشريعة بمناهج الغرب في المدارس والجامعات.

الثالث: وجود محكمة إسلامية تحكم شؤون المسلمين.

الرابع: فصل الإسلام عن الاقتران بالإرهاب كما هو شائع بالإعلام الغربي.

غير أنهم وللأسف نزحوا من بلادهم بخلافاتهم ونزاعاتهم وتوجهاتهم (فهذا بلوري وهذا دوبندي وذاك تبليغي وهذا إخواني وذاك مداخلي وآخر سروري وهذا سني وذاك شيعي وهذا سلفي وذاك من اهل الحديث) حتى بلغ الخلاف بينهم ألا يصلي أحدهم خلف الأخر ويتنازعون بل ويختصمون في عدد ركعات التراويح، وكل باسط يديه يعتقد أن الحق معه وأن الجنة له وأن البقية هم وقود النار، ولم يدركوا بعد خطر الإعلام الغربي وما يتصف به من قوة الإدراك وعمق النظرة والقدرة الفائقة على تحقيق مصالحهم، وغالباً ما يكون حوار هؤلاء المسلمين بطريقة عشوائية يتجلى فيها حب الظهور والنزعة الفردية، مع غياب التنسيق، مع شيء من السذاجة والسطحية، ولهذا نلاحظ أن الإعلام الغربي يخترق الجمعيات الإسلامية فيختار أشخاص

بأعيانهم ووجوه بذواتهم، ودعاه متطرفين لديهم الكثير والكثير من الحماقة وقصر النظر ويهدف الإعلام الغربي من هذا أن يؤثث بهم فضاء استوديوهاته وندواته حتى يقدموا الصورة عن الإسلام التي يريدها هو وليست التي تمثلنا حقيقة، وهذا الإعلام كلما أبصر ألمعينا لديه القدرة والكفاءة همشوه وعملوا على إقصاءه فلماذا تقدم الجمعيات الإسلامية السكين التي نذبح بها والسوط الذي نجلد به، وكنا نتمنى أن يكون للمنظمات والجمعيات والهيئات الإسلامية في بلاد الغرب ناطقون رسميون، و يكون لديهم خطه للتطوير الإعلامي، لماذا لا يقدمون لشبابهم ولدعاتهم دورات تدريبيه تحقق لهم إصلاح الخطاب الإسلامي و الأساليب الدعوية، و يكون لديهم علماء في التنظير للخطاب الإسلامي يتقنوا علوم العصر المتعلقة بالخطاب كعلم اللسانيات وعلم البلاغة وعلم تحليل الخطاب وعليهم أن يتقنوا البلاغة العربية الأصيلة ويتقنوا شروط الحوار وعلم المناظرة وهؤلاء يكونون الدعاة الذين يعرفون دينهم ويتوجهون إلى دعوة من حولهم ويعلموا ضرورة التنافس على بلوغ الجودة، جودة في المنتوج الفكري والمنتوج الإعلامي.

وليتخذ هؤلاء الرجال قدوة لهم في النقاش والحوار أمثال الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب عندما وقف أمام ملك الحبشة النجاشي رضي الله عنهما وبين له الإسلام في كلمات وجيزة بليغة رتب فيها الأولويات عندما أوضح حال الناس قبل بعثه المصطفى صلى الله عليه وسلم وكيف كانوا بعد ذلك، وأوضح موقف قريش من الدعوة وصاحبها وأتباعه، حيث قال: كنا أهل جاهلية نأكل الميتة ونظلم الجار ونستحل الحرام ويعدو بعضنا على بعض فجاءنا نبي كريم فعلمنا الإيمان والتقوى والصبر والصلاح والاستقامة وإكرام الجار ونهانا عن عبادة الأصنام وأكل الحرام، فآمنا به وصدقناه فعد علينا قومنا فآذونا فجئنا إليك واخترناك على من سواك ملتجئين إليك، وتلا عليه ما ورد في القرآن في سورة آل عمران وسورة مريم وسورة الأنبياء، عن زكريا ويحيي وعيسى وأمه مريم عليهم السلام وهم مقدسون عند النصارى، فأحسن عرض الرسالة وأحسن عرض المظلمة وأحسن عرض الاستجارة وانتقاء الآيات التي قرأها بين يديه [1] فكانت النتيجة الطبيعية لهذا

[1]) قال تعالى(إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتاً حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبه إنك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيدا وحصوراً ونبيا من الصالحين قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة ايام إلا رمزا واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشى والإبكار واذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والأخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى امراً فإنما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا إلى

الإتقان الإعلامي أن الاستجابة عند النجاشي كانت بكاء ودموعاً وتأثر ثم قال: والله لا أسلمكم أبدا فهذا الدرس يتعين أن نتعلمه من سلفنا الصالح في شكل الحوار الناجح والأداء الموفق.

والمسلم يتعلم من القرآن أنه يتحمل المسؤولية قال تعالى: (وقفوهم إنهم مسئولون) (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) الإسراء 36 (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا)النساء 79 (أو لما أصابتكم

بني اسرائيل أني قد جئتكم بأية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لأية لكم إن كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بأية من ربكم فاتقو الله واطيعون إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري إلى الله قال الحواريون نحن انصار الله امنا بالله واشهد بأنا مسلمون.....إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم به تختلفون فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين أمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون.....قل امنا بالله وما انزل علينا وما أنزل على إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الأخرة من الخاسرين) آل عمران 35-52، 55-84،59-85.

وقال تعالى(كهيعص ذكر رحمت ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداءً خفياً قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً وإني خفت الموالي من وراي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً قال رب اجعل لي آية قال ايتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا يا يحيى خذ الكتاب بقوة واتيناه الحكم صبيا وحناناً من لدنا وزكاة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم جباراً عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقيا فاتخذت من دونهم حجاباً فارسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان امراً مقضياً فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً فأجآءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً فكلي واشربي وقري عيناً فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً يأخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم)مريم 1-36، وقال تعالى(وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين والتي أحصنت فرجها فنفخن افيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين)الأنبياء 89-91 .

مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير)آل عمران 165 فهناك عقدة نفسية لدى الغرب وعداء شديد للإسلام فعلى سبيل المثال عندما حضر رجال الجهاد في أفغانستان أمام الرئيس الأمريكي عام 1406هـ 1986م في أول اتصال بين أمريكا والمجاهدين الأفغان باعتبار الخصم المشترك هو الروس قبل أن يجلسوا في البيت الأبيض، قال لهم: لا أريد أن اسمع كلمه إسلام تحدثوا بصفتكم أفغان مدافعين عن وطنكم ضد الروس، وهذا يدل أن هذا الرئيس مشحون سلفاً ضد أن يكون للمجاهد الأفغاني بُعد إسلامي ، وإنما بصفتهم أفغان يدافعون عن بلادهم ضد الروس فهو مستعد لمساندتهم.

ولا أدل على العداء المتأصل والكره الشديد للإسلام ومن يتشرف للانتماء إليه ما نشرته وروجته مجلة التايم الأمريكية وجعلت صورة بشعة على غلافها لفتاة أفغانية جدع أنفها وبترت آذانها وذنبها أنها هربت من بيت الزوجية، هذه الصورة البشعة المزعومه تلقفها الإعلام الغربي وروج لها ونشرها في قنواته وفي جميع وسائل الإعلام بما في ذلك قناة العربية مع الأسف، ولا يخالجني أدنى ريب أن هذه الواقعة المزعومة كذب وتلفيق وبهتان عظيم حيث أن الاعتداء على هذه المرأة بهذه الصورة يعد جريمة نكراً، وليست عقوبة يطبقها مسلمون، فإمام المتقين وسيد المرسلين قد نهى عن المثلة ولو بالكلب العقور.

كما أن الإعلام الغربي يعمد إلى ستر كل حسنة تصدر عن المسلمين إذن هناك عقده اسمها الإسلام عند الغربيين والسبب معروف: فأصل المشكل عقدي، فالغرب لا يقبل من المسلمين شيئا مهما تودوا أو تزلفوا أو اقتربوا أو تنازلوا، ومهما أوضح المسلمون ما ورد في القرآن الكريم عن عيسى وأمه مريم عليهما السلام، حيث تحدث القرآن عنهما ستين مره، لان الغرب يعتقد أن عيسى عليه السلام هو خاتم الأنبياء فلهذا لا يعترفون بنبينا محمد عليه السلام ولا بما أنزل عليه من القرآن الكريم، لان اعترافهم بنبينا ينسخ ديانة المسيح، في حين أن اليهود يرفضون المسيحي ويرون المسيح دجال وأنهم قد تولوا صلبه وحرضوا عليه الرومان، وقد نفى القرآن صلب عيسى عليه السلام حيث قال تعالى: (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا إتباع الظن وما قتلوه يقينا) النساء 157، ولكن النصارى يعترفون بالديانة اليهودية ؛ لأنه في ثقافتهم اليهودية دين معترف به فالإنجيل يشتمل على التوراة ولان الإنجيل يحكي عن أنبياء بني إسرائيل ولان عيسى آخر أنبياء بني إسرائيل فمهما رفض اليهودي المسيحي فالمسيحي يقبله، لأنه يجد في أصول دينه التوراة بل إن طائفة البروتستانت يعتقد أن التوراة هو العمق العقدي والتاريخي للإنجيل، ويطبعون كليهما ويسمونه الكتاب المقدس العهد القديم والعهد الجديد، أما المسلم مهما انفتح، مهما تحدث عن عظمه الإسلام وسماحته، مهما تحدث عن حقوق أهل الذمة، مهما تحدث عن قبول الإسلام للمسيحية فهم لن يعترفوا به ولا يرون أن بعد

المسيحية دينا ولأنهم يخافون إن انفتحوا على الإسلام أن يكون ذلك أساس لنقض دينهم لان التسليم بوجود محمد هو إنهاء لدور عيسى عليه السلام.

وثمة مشكلات أخرى إننا نتخلى عن المبادرة فيسبقنا غيرنا إلى العمل فالفاتيكان هو الذي أسس الإطار للحوار المسيحي الإسلامي وكان الأولى أن نقول الحوار الإسلامي المسيحي ، ويضع الضوابط والشروط ويختار المكان، وعندما أراد البابا الاعتذار عندما أساء إلى نبينا عليه الصلاة و السلام اتخذ قراراً بإنشاء منظمة حوار لم تسمى منظمة حوار إسلامي مسيحي بل سميت منظمة حوار كاثوليكي إسلامي واختير مكانها في روما والمشرف والمهيمن والممول هو الفاتيكان، ومهما كان لدينا من مهارة فنحن نفتقد شيئين: المبادرة (فكانت من الفاتيكان) والتسويق(فالذي تولى تسويق المبادرة هي القنوات الغربية التي هي أقوى واقدر)لذا علينا أن نسارع إلى المبادرة نحو وضع اطر لهذا الحوار وسنجد من يستجيب لدعوتنا ويقبل بضاعتنا ويتبين أن الحق لدينا، ولن يكون هؤلاء من السياسيين لان عندهم حسابات سياسية ضيقة، ولن يقبل منا رجال الكنائس لان عندهم اطر عقدية لاهوتيه ضيقة ، وإنما يكون حوارناً مع رجال الجامعات من الأكاديميين الذي يمثلون فسحه أمل وواحة في صحراء التفاهم الإسلامي المسيحي فلديهم الموضوعية والقدرة على التفاهم للوصول إلى الحقيقة فالنفس الأكاديمي في البحث عن الحقيقة يوصلهم إلى التجرد ، هناك زهاء عشر جامعات بريطانية اتخذت قرار بمقاطعة الكيان الصهيوني وكل العلاقات الأكاديمية والبحث العلمي وطردت كل عناصر التطرف في فلسطين الذين كانوا متعاونين معهم في إطار الاتفاقيات مع الجامعات اليهودية في فلسطين، فلم تجد الصهيونية إلا اتهام هذه الجامعات بمعاداة السامية ولم تجد الدولة البريطانية إلا أن ترفع يدها لان الجامعات مستقلة بنظمها وميزانياتها وهيئاتها ولا سلطان للدولة عليها، وهذا أحد فروع جامعة السربون في إحدى ضواحي باريس تجمع فيها شباب ممن عندهم حس وطني يعتبرون معقل القضية الفلسطينية والعربية ولا يقبلون إن تخترقهم الصهيونية ويقاطعون العنصرية القائمة في فلسطين ويحتضنون الطلبة الجامعيين المسلمين الذين يريدون أن يطرحوا أبحاث في العلوم الإنسانية فيها شيئا من الجرح لهذه الجهات الأخرى المتعصبة، وهناك جامعات أمريكية لديها التطلع إلى أن تعدل علميا وأكاديميا لغة الإنحياز الأهوج لدى الحكومات الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية فالأكاديميون بيدهم صناعة القرار وعلينا أن نستثمر هذا في المستقبل ، وسبب تخلفنا إننا ننام ردحاً من الزمن ثم إذا استيقظنا نضغط على الزر ونريد فوراً أن نعدل في الوضع ونصححه وسنه الله في الكون أن ما فسد في زمن طويل لا يصلح إلا في زمن طويل.

الخلاصة

1) أن الشرط الأساسي في الحوار هو الصدق: أي الرغبة المتبادلة في الوصول للتفاهم، فما لم يكن الحوار مبني على رغبه في المعرفة والتوصل إلى تفاهم والى حقيقة والى توافق فإن هذا الحوار يصبح تعجيزاً يصبح استفزازاً يصبح استدراجاً وعبثاً لا انه سعي إلى التفاهم، إذن الشرط الأول هو شرط الرغبة في الوصول إلى المعرفة والتفاهم للوصول إلى الحق.

2) أهم شرط في المحاور الكفاءة والتخصص والخبرة والقدرة على المناورة والمداورة والملاينة.

3) هناك صورة مهيأة سلفا عند الغرب إنشاءها المستشرقون على مدى عقود وتراكمت عبر الكتاب والبحث بل حتى عبر اللوحة الفنية التي كان يرسمها الفنان المستشرق عن العرب وعن المسلمين وكيف أنهم يعيشون للجنس والممارسات الجنسية وما خلف أسوار القصور صورة للتشويه والإساءة دون أن يكون لها حقيقة في الواقع صوره للشرق كما يريده الغرب إن يكون، هذه الصورة للعربي والمسلم على أنه بليد وغبي وقاسي ومتوحش ودموي وغير ذلك.

يتعين أن نتحاور ونحن نمثل كتلة واحده وصفاً واحداً وعلى قلب رجل واحد (المسلمون تتكافأ دمائهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يدُ على من سواهم)،يتعين أن نتحاور بصفتنا كتله واحده ونختار أفضل شخص في الذكاء والفطنة وبعد النظر وسداد الرأي والحنكة والحكمة ونفاذ البصيرة، ويتمتع بالقدرة على الإقناع ، ويحسن المداخل والمخارج. ويشد ظهره منظمة قوية رائدة مثل: منظمة المؤتمر الإسلامي، منظمه الإسيسكو، رابطه العالم الإسلامي، ومنظمة اتحاد الجامعات الإسلامية، وهنا يكون التحاور مجدياً ومؤثراً ومحققاً للأهداف السامية والمثل العليا والغايات النبيلة، وعندئذ يتعين علينا أن نبصر عيوبنا ونأخذ على أيدي سفهائنا من أي انحراف أو اعوجاج في السلوك أو خروج عن اللياقة والأدب وعليهم أن يأخذوا عن علماءنا الأعلام الذين يحرصون كل الحرص على إحقاق الحق وإزهاق الباطل ولديهم الرغبة الصادقة في التمسك بكتاب الله العزيز لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ،وما صح من السنة المطهرة، فهذا الإمام مالك رضي الله عنه – على ما هو عليه من وعي وفهم وعلم – إذا أفتى في مسألة يقول «إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين»

وسئل الإمام الشعبي رحمه الله إمام أهل العراق عن مسألة فقال:لا ادري فقيل له: ألا تستحي أن تقول لا ادري وأنت إمام العراق؟فقال –رحمه الله –: إن الملائكة لم تستحي عندما قال الله لهم(أنبوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) [1].وهذا من تمام الأدب مع الله تبارك وتعالى وتواضع العلماء وشعورهم بثقل الأمانة وعظم المسؤولية.

[1]) سورة البقرة/ الآية 32، وينظر القول في إعلام الموقعين(218/4)

وهذا الإمام محمد بن إدريس الشافعي –رضي الله عنه– يقول:(قولي صواب يحتمل الخطأ وقول غيري خطأ يحتمل الصواب) هذا الإمام العظيم أثر عنه المذهب القديم لما كان في العراق، ولما تحول إلى مصر دون مذهبه الجديد بناء على تغير الأحوال والأعراف، وصار يقال قال الإمام الشافعي في القديم وهو ما تكون من فقهه في العراق، وقال بالجديد وهو ما تحصل من الفقه لديه في مصر هذا الإمام الجليل الذي وصفه الإمام أحمد رضي الله عنه بقوله: الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس، وهذا الإمام الشافعي يقول عن الإمام أحمد: خرجت من بغداد ليس فيها افقه ولا اعلم ولا أورع من الإمام أحمد .

وهذا الإمام احمد –رضي الله عنه– يؤثر عنه أكثر من قول في المسألة الواحدة إما: لسنة بلغته، أو لنازلة تستدعي النظر فيها والحكم عليها.

ومن مقومات النجاح في الحوار إتقان اللغات ولا سيما اللغة العربية الفصحى الموجهة للعرب والمسلمين باعتبارها من أقوى العناصر في وحدة الكلمة وصدق اللهجة والتعبير الحقيقي عن فهم القرآن الكريم وما صح من السنة المطهرة، هذه اللغة العربية التي نزل بها القران الكريم بلسان عربي مبين، وهي لغة خاتم الأنبياء وسيد المرسلين فالله جلا وعلا اختار للرسالة الخاتمة أطهر أرض وأكرم أمه واشرف رسول(الله اعلم حيث يجعل رسالته) ولا ريب أن الإسلام قد انتشر وظهر وصارت له السيادة والقيادة على أيدي السابقين الأولين من العرب وجنسيات أخرى، فقد قال المصطفى عليه السلام(أنا سابق العرب وسلمان سابق الفرس وصهيب سابق الروم وبلال سابق الحبش).

4) المسلمون استقروا في بلاد الغرب وطنوا الإسلام لم يعودوا جالية ولم يعودوا يوصفوا بأنهم نازحين ولكنهم صاروا من أبناء البلد لهم جميع الحقوق وعليهم جميع الواجبات، لكنهم لم يدركوا خطورة أسلوب الإعلام عند الغرب وعاده ما يتعاملون مع الإعلام بطريقة عشوائية يبرز فيها حب الظهور والنزعة الفردية فيها غياب التنسيق فيها شيء من الغفلة والسذاجة ولهذا نلاحظ أن الإعلام الغربي يختار أشخاصا بأعيانهم وربما دعاه متطرفين لكي يبرزهم في الإعلام ليقول هؤلاء هم المسلمون المعروف عنهم الغلو والتطرف والإرهاب.

وبعد: فإن من نتائج الحوار وثمراته عندما نستوفي شروطه وموضوعاته أن نقف على أرض صلبة يسود فيها التفاهم والاعتراف بالأخر، والإستفادة مما لديه ويتحقق الوئام والسلام، ولنطبق قول الله تعالى(يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) والبر أرقى أنواع الإكرام والاحترام والقسط أرقى أنواع العدل والإنصاف، كما نعمل أيضاً على تحقيق قول الله تعالى(أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)المائدة 8 وايضاً نلتزم بما جاء في الأية 135 من سورة النساء(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ

وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)، ولا ريب أن الالتزام بهذا المنهج القويم، يحقق للامة الوئام والتفاهم والعدل والإنصاف.

ولا ريب أن من ثمرات الحوار البناء العمل على إبراز أول وثيقة سياسية في التاريخ التي جعلها المصطفى صلى الله عليه وسلم منهجاً قويماً وضياءاً لرسم التعاون بين أهل المدينة من مسلمين وغير مسلمين هذه الوثيقة الرائعة الخالدة، ولا يتسع المقام لإثبات نصها غير أن كل عاقل لبيب يدرك ما فيها من النهج القويم والصراط المستقيم الذي من سار عليه هدي إلى صراط مستقيم.

نسال الله إن يرينا الحق حقاً ويرزقنا إتباعه ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه وان يهدينا سواء السبيل قال تعالى(وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) الإنعام 153

والحمد لله رب العالمين وأزكى الصلوات والسلام على معلم الناس الخير المبعوث رحمة للعالمين السراج المنير هادي البشرية إلى الرشد وداعي الخلق إلى الحق ومخرج الناس من الظلمات إلى النور نبي الرحمة وإمام الهدى صاحب اللواء المعقود والمقام المحمود والحوض المورود عليه وعلى أصحابه الركع السجود أفضل الصلاة وأتم التسليم.

أ.د/ محمد بن أحمد بن صالح الصالح

أستاذ الدراسات العليا في جامعات المملكة ومعاهدها العليا وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف والخبير في المجامع الفقهية في المملكة العربية السعودية.

10/ محرم/1435هـ 22/برج العقرب/1392هـ.ش، الموافق 13/ نوفمبر/2013م